التيارات فان الامتناع عن استعمال النظارات يفيد في جعل من كان يستعملها يثمرن على الاسلوب الصحيح لتقوية بصرهِ اي رؤية المرئيات واضحة . منذ نحو عشر سنوات استعملت طريقتي لمنع قصر البصر في كثير من المدارس بمدينة نيويورك وقلت ان التلامذة الذين يستعملون طريقتي يصطلح بصرهم مهما كان قصيراً ومهما كانت المدة التي مضت عليهم وهم قصار البصر وبعد سنة امتحنت بصر الذين امتحنت بصرهم قبل المعالجة وهم عشرون الف تلميذ فوجدت انهم كلهم قد اصطلح بصرهم عمّا كان قبل المعالجة فثبت من ذلك ان علاجي يفيد كل قصار البصر

نظامنا الاجتماعي

مذ فجع الشرق الأدنى ولا سيما مصر في العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون سنة ثمان وثمانمائة بعد الهجرة نضب بحر علم الاجتماع حتى اليوم بل فجع الشرق كلهُ في فيلسوفهِ المتفرّد وطبيب نظامهِ الاجتماعي ولم يكن لهُ كفؤاً أحد من العلماء الى وقتنا هذا

أمّا سبب نضوب بحر علم الاجتماع في الشرق فموت الشرقيين موتاً أدبياً . وذلك أنهم ظلّوا زُهاء ستة قرون غرقى في بحار الاستبداد تغشاهم ظلمات الاستعباد وتتجاذبهم أيدي الأطماع وتتخطّفهم أكف الجياع وتتقاسمهم الغزاة الفاتحون في تلك القرون

ولقد أتى على الأمة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً . فما تقول من قول ولا تعمل من عمل الاّ بإرادة حكّامها الذين سلبوها حُرّيتها وأفقدوها شعورها وأماتوا وجدانها وأذاقوها لباس الجوع والخوف وأنسوها طعم العدل على مرّ الزمان . والأمثلة كثيرة في العهد الذي يسير فيهِ أهل الغرب سيراً حثيثاً في سبيل الحياة كان أهل الشرق (مهد الحضارة) يسيرون أيضاً سيراً حثيثاً في سبيل الممات

جدّ الغربيون بما منحوا من الحرّيّة في اكتناه أمراض حكوماتهم فتبعوا أقصى دائها فشفوها منهُ بالدواء الناجع قبل أن يستفحل الدّاء فيعز الدواء . وأهمل

الشرقيّون بما مُنوا به من الاستعباد في أمراض حكوماتهم وشعوبهم حتى أمانهم شرّ ميتة وذلك جزاء المهملين وما اصدق شاعرهم اذ يقول

ليس من مات فاستراح بميت أنما الميّتُ ميّت الاحياء
أنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

ومذ ثلاثة وثلاثين حجّة أخذت وسائل الترقيّ تتسرّب من الغرب الى الشرق الأدنى بسبب المعاملة والمعاشرة والمجاورة والمحاكاة بالأساتذة الغربيين من الانجليز والفرنسيين والالمانيين والايطاليين وبالبعثات العلمية الى الممالك الاوربية وبات من الصعب ان يقف الاستبداد حائلاً بين العلوم والعقول والمواهب السامية والمشاعر الحية فهبّت الجماعات من كل حدب تسير الى الامام في سبيل الاصلاح والفلاح واخذ ظلّ الاستبداد ينقلص عن الشرق شيئاً فشيئاً (وهل تمت بظلّ غير متنقل) ومن ثمّ تفوّق الشرقيون الأدنون وخاصة اهل مصر وسورية وتركية يكتبون في العلوم الاجتماعية ولكنهم لم يكونوا مبتكرين بل كانوا نقلة (معرّبين ومترجمين) فلم يفيدونا شيئاً في شؤوننا الاجتماعية المقصودة اولاً وبالذات اللهم الاّ فائدة تاريخية في حياة امم اولئك المؤلفين الغربيين وهذه فائدة جاءت ثانية وبالعرَض لان هؤلاء المعربين والمترجمين قد عنوا بنقل ادواء امم غير امهم وادوية شعوب غير شعوبهم وعرضوا علينا نماذج من أطوار الرقيّ والانحطاط لاقوام غير اقوامهم. وشتان ما بين امراضنا الاجتماعية وامراضهم وعلل شقائنا وعلة شقائهم ولا جرم أنّ ما يصلح دواء لمريض ليس بلازم ان يصلح دواء لآخر والشواهد كثيرة

واذا كانت امتنا الشرقية تختلف عن امم الغربية بيئة وجنساً ولغة وديانة وخلقاً وشكلاً وغريزة وعادة فحريّ ان تختلف اعراض امراضنا عن اعراض امراضهم ونظام حكوماتنا عن نظام حكوماتهم وان كنا وكانوا من آدم وكان آدم من تراب

فان كان بحر الحنظلية واحداً فما تستوي حيّاتهُ والضفادع
وما يستوي صدر القناة وزجّها وما تستوي في الكفّ منك الاصابع

وإن باكورة تلك الكتب الاجتماعية المعرّبة بوادي النيل كتاب اصول النواميس والشرائع لمونتسكيو وقد عرّبهُ الاستاذ السوري يوسف بك آصاف ويليهِ كتاب

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لأنفيري وقد عرّبهُ الرحّالة المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وتصرّف في تعريبه فاحسن . واول طبعة ظهرت منهُ بمصر في سنة ١٣١٧ هـ

وفي سنة ١٣٢٧ هـ ظهر بمصر ايضاً كتابان جليلا القدر في الاجتماع للعلاّمة الفرنسيّ الذائع الصيت جوستاف لوبون وهما روح الاجتماع وروح الاقوام اما اولها فعرّبهُ المرحوم احمد فتحي باشا زغلول واما ثانيهما فنقلهُ الى التركية الطبيب التركي عبدالله بك جودت ولما يعرّب الى اليوم

وفي سنة ١٣٣١ هجرية عرّب الباشا المذكور (سرّ تطوّر الامم) لجوستاف لوبون أيضاً كما بدأ في تعريب كتابه جوامع الكلم وأتم تعريبهُ القاضي الفاضل صالح بك جودت ونسب التعريب أجمعهُ للباشا المذكور وطبعهُ بمصر سنة ١٣٣٢ هـ وهي السنة التي توفي فيها احمد فتحي زغلول باشا عليهِ رحمة الله

وفي سنة ١٣٣٨ هـ ظهر بمصر كتاب اجتماعي يبحث في الأسلام ماضيهِ وحاضره ومستقبلهِ يسمى اتحاد المسلمين للكاتب الاجتماعي العثماني الشهير جلال نوري بك وعرّبهُ الشيخ عبد الوهاب عزّام المصري وحمزة طاهر افندي القزاني كما ترجم الى كثير من لغات أوربّة وآسية

أما ما عدا هذه الكتب مما ينتصب لهُ عنوان الاجتماع أو النظام الاجتماعي ونحوهما فليس من علم الاجتماع في شيء

يا ويح مصر . ما افقرها الى كتب اجتماعية تؤلف لابنائها في تشريح احوالهم النفسية وعلاج امراضها النظامية . ما احوجها حتى الى الكتب المعرّبة التي الفت لاصلاح امة غير امتنا وقد علمت انها لا تتجاوز اصابع اليد عدّاً فيما يزيد على ربع قرن كما اسلفنا

واني أتمنى على الله الكريم أن يوفّق كتابنا العلماء الافذاذ ان يقرعوا ابواب الكتابة في شؤون امتنا الاجتماعية على صفحات الصحف اليومية والمجلات العلمية فانهم ادرى بدائها من نزلائها واعرف بدوائها من غربائها

عبد الرحيم محمود
المدرس بمدرسة عبد العزيز للمعلمين بالقاهرة